مقال جريدة النصر يوم 2025/05/03

عميد جامع الجزائر يؤكد من جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة: المدرسة الصوفية الجزائرية ساهمت في نشر الوسطية والاعتدال والتعايش

03ماي 2026

الزيارات: 94

أكد وزير الدولة عميد جامع الجزائر، الشيخ محمد المأمون القاسمي الحسني، أمس، أن المدرسة الصوفية الجزائرية ساهمت في نشر قيم الوسطية والاعتدال والتعايش، فيما أوضح رئيس رابطة علماء وأئمة ودعاة الساحل أن امتداد الطرق الصوفية التي نشأت في الجزائر جعلت صوتها مقبولا في المنطقة، كما شدد الباحثون المشاركون في فعاليات الملتقى الوطني حول اتجاهات المدرسة الصوفية الجزائرية التي انطلق بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، على الخصوصيات الذوقية والمعرفية التي يتميز بها التصوف الجزائري.

وألقى الشيخ محمد المأمون القاسمي الحسني، وزير الدولة عميد جامع الجزائر، كلمة خلال الإعلان عن انطلاق أشغال الملتقى الوطني حول "اتجاهات المدرسة الصوفية بالجزائر من البناءات المعرفية إلى الامتدادات العالمية"، حيث قدم ورقة افتتاحية لأشغال الفعالية العلمية بعنوان "مدرسة التصوف الإسلامي مصدرها القرآن، وهدي من تنزل عليه القرآن"، واعتبر أن موضوع الملتقى يتجاوز المجال الأكاديمي والبحثي، ليمثل أحد أعمدة الشخصية الروحية للأمة، مضيفا أنها "أحد الأنهار التي غذت وجدان المجتمع الجزائري عبر القرون، وأسهمت في صياغة توازنه العقدي والسلوكي والحضاري". وأضاف المتحدث أن العقيدة السنية تلتقي بالفقه المالكي اللذين تحضنهما روح الإحسان لتشكل المدرسة الصوفية في الجزائر، ما انبثق عنه نموذج تربوي متكامل، يربط بين العلم والعمل، ولا يفصل بين الشريعة والحقيقة، ولا بين خدمة الإنسان وخدمة الأوطان، حيث لفت إلى أن التصوف في الجزائر كان مدرسة تربية قبل أن يكون موضوع كتابة.

واعتبر عميد جامع الجزائر أن علاقة التكامل بين العلم والتصوف تمثل ما تحتاج إليه مجتمعاتنا اليوم "في زمن تتكاثر فيه مصادر المعرفة، وتتنافس فيه الخطابات على تشكيل الوعي وتوجيه الرأي العام"، مثلما قال، فيما نبه بأن المدرسة الصوفية الجزائرية لم تكن ظاهرة محلية محدودة، "بل امتد إشعاعها عبر الفضاء المغاربي والإفريقي وما وراءه"، حيث اعتبر أنها أسهمت في نشر قيم الوسطية والاعتدال والتعايش، فصارت جزءا من الرصيد الحضاري الذي تتقاسمه شعوب متعددة، كما اعتبر أن "هذا الامتداد يضعنا أمام مسؤولية مضاعفة في صون هذا الإرث، وتقديمه في صورته الصحيحة، بعيدا عن الاختزال أو التشويه أو القطيعة مع سياقه العلمي والتربوي."

وأكد الشيخ القاسمي الحسني بأن الأمناء على المدرسة الصوفية الجزائرية مطالبون بـ"البيان بأن مدرسة التصوف الإسلامي مصدرها القرآن وهدي من تنزل عليه القرآن وعمادها العلم والمعرفة، ونهجها سلوك الطريق باستقامة واعتدال"، مؤكدا على ضرورة عدم مساواتها بنظريات أو ممارسات "مهما تكن مصادرها أو أصولها أو مواطنها، من هنا أو هناك"، مثلما قال، كما دعا إلى "دحض المزاعم بأن التصوف نقطة جامعة لكل المشارب والمذاهب والمعتقدات، ومن ثم لمختلف الممارسات، وكذلك المظاهر الوثنية، على شذوذها وانحرافاتها، واختلاف مواطنها."

وشدد المتحدث أيضا على ضرورة تفنيد النظرية القائلة بأن التصوف ظاهرة اجتماعية مشتركة تنسحب على كافة المجتمعات، "فذلك من شأنه أن يميّع التصوف الإسلامي ويفرغه من محتواه وينزله في غير منزلته وينأى به عن مرجعيته ومفهومه الصحيح ويجعله مجرد "طقوس" تتشكل من مفاهيم المجتمعات وممارساتها المختلفة"، فيما نبه أيضا إلى ضرورة نفي "كل مدسوس أو دخيل على التصوف الإسلامي الأصيل والكشف عن الجاهلين والمبطلين من أدعيائه، والرد بالدليل على خصومه". وختم عميد جامع الجزائر مداخلته بالتأكيد على أن استحضار تراث التصوف لا يعني الوقوف عند الماضي، وإنما يستدعي "استلهام طاقته المعنوية لبناء الحاضر وصناعة المستقبل، في إطار رؤية تستحضر التحديات الراهنة، وتؤمن بأن الأمة التي تعرف جذورها تحسن تقويم مسارها، وتوجيه خطاها"، مثلما قال.

وألقى مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، البروفيسور السعيد دراجي، كلمة أكد فيها أن الحديث عن المدرسة الصوفية في الجزائر يعني الغوص في مقاربات تاريخية ومعرفية وتصحيحا لمفاهيم اختزلت في أدوار معينة، "أراد أصحابها تشويه أصالة الحياة الروحية والتقليل من فاعليتها تجاه المجتمع الجزائري"، مضيفا أن إشكالية الملتقى جاءت لتوضيح معالم المدرسة الصوفية في الجزائر بمختلف اتجاهاتها والاطلاع على الإشعاع الصوفي بالجزائر وامتداداته الإقليمية والعالمية من خلال جملة المحاور المطروحة للنقاش. أما رئيسة اللجنة العلمية للملتقى، البروفيسور زهرة لحلح، فقد أوضحت في كلمتها أن الحديث عن المدرسة الصوفية في الجزائر يعبر عن مقاربات إشكالية تاريخية ومعرفية، حيث اعتبرت أن البناءات الذوقية للحضور الصوفي في

الجزائر تتمحور بين المثاقفة الذوقية والخصوصية المعرفية المشكلة للبنية الصوفية في الجزائر والمستندة لأطروحات محلية ثابتة المعالم.

رئيس رابطة علماء الساحل: امتداد الطرق الصوفية جعل صوت الجزائر مقبولا في المنطقة

وانطلقت الجلسة الأولى من الملتقى بمداخلة البروفيسور خميسي بزاز، رئيس رابطة علماء وأئمة ودعاة الساحل، حول "المدرسة الصوفية الجزائرية الأصيلة وامتداداتها العالمية"، حيث قال فيها إن "الطرق الصوفية في الساحل الإفريقي تكاد تكون سلطانا على الحاكم والمحكوم"، مشيرا إلى أن الحديث عن التصوف ليس من باب الترف الفكري، وإنما يمثل مسألة ذات امتداد كبير جدا. واستعرض الباحث مختلف الطرق الصوفية التي نشأت في الجزائر، على غرار الطريقة التيجانية التي نشأت في الأغواط وحاربت الوثنية في إفريقيا ونشرت عقيدة التوحيد، مثلما أكد، منبها بأنها تعد أكبر الطرق الصوفية انتشارا في العالم.

ولفت المتحدث إلى أن العديد من الدول تحاول أن تستثمر في هذه القوة الناعمة، حيث اعتبر أننا بحاجة إلى الاستثمار في العامل الصوفي وتنقيته مما قد يكون لحق به من أشياء ينبغي أن تنقى، لكنه أشار إلى أن ذلك لا يمكن أن يتحقق برفض الآخر، منبها إلى ضرورة إيجاد حالة من التثاقف بين مختلف المدارس العلمية والفكرية الموجودة في الجزائر. وتحدثنا إلى البروفيسور خميسي بزاز على هامش مداخلته، حيث أكد أن عددا من الطرق الصوفية المنتشرة في منطقة الساحل ذات أصول جزائرية، خصوصا الطرق التيجانية والقادرية والرحمانية والسنوسية، مشيرا إلى أنها مجموعة من الطرق الصوفية التي تأسست من طرف زعامات جزائرية واستطاعت الامتداد خارج فضائها الجغرافي لتشع على العالم المحيط بها.

ونبه المصدر نفسه أن الميزة المذكورة جعلت صوت الجزائر واسمها مقبولا ومرحبا به في المنطقة، حيث تمثل البلد الذي تنتمي إليه الرمزيات الدينية المذكورة، في حين أكد أن الجزائر تملك أن تخدم الكثير من القضايا المشتركة مع هذه الدول من خلال تفعيل هذه الدبلوماسية الناعمة، لاسيما ما يتعلق بالمرجعية الدينية الأصيلة التي تتسم بالوسطية والاعتدال في مواجهة خطاب التطرف والكراهية والعنف، بالإضافة إلى التصدي للخطاب الوافد الذي يحمل التطرف ويريد التدثر بالإسلام للقيام بالإجرام في منطقة الساحل الإفريقي.

واعتبر المتحدث أن الكثير من الجماعات الإرهابية التي تحمل عناوين إسلامية تحاول أن تستعمل الغطاء الديني بما له من رمزية وتأثير على الشعوب حتى تقوم بأعمال إجرامية في منطقة الساحل، لكنه قال إن الجزائر بدأت العمل لخدمة قضايا المنطقة من خلال هذه الميزة التي تملكها، مؤكدا أننا "يمكننا أن نؤدي أداء أفضل من الأداء الذي نقدمه حاليا بمزيد من العناية والرعاية والاهتمام بمثل هذه الآليات"، فيما قال إن رابطة علماء الساحل تعد واحدة من الآليات التي ابتكرتها دول المنطقة لمواجهة خطاب الكراهية والتطرف والعنف.

وضرب محدثنا أمثلة عن المشاريع التي تقوم بها رابطة علماء وأئمة ودعاة الساحل، على غرار تكوين الأئمة لمحاصرة سردية التطرف والإرهاب في منطقة الساحل، كما نبه أن أعضاء الرابطة يتبادلون مختلف التجارب، مضيفا أن تجربة الجزائر رائدة، خصوصا ما يتعلق بالمقاربة الشاملة في محاربة الظاهرة الإرهابية وتجربة المصالحة الوطنية وبعض المشاريع الصغيرة التي أثبتت نجاعتها في بعث الأمل لشباب المنطقة. وقدم البروفيسور ياسين بن عبيد من جامعة محمد لمين دباغين مداخلة بعنوان "النص الجزائري الصوفي المعاصر من الداخل، حيث قال في جانب منها إن الشعر الحديث تعدى على المعجم الدلالي الصوفي، ليؤكد في تصريح لنا على هامش المداخلة، أن بعض النصوص الأدبية تتميز باتكاء على معجم ابن عربي وابن سبعين والرومي وغيرها، معتبرا أن افتقاد الأدوات الذاتية للتجربة الأدبية لدى الشعراء المعنيين يجعلهم يلجأون إلى هذا الأمر.

ويذكر أن مراسم افتتاح الملتقى عرفت حضور مسؤولين محليين ومديري جامعات ومجموعة من الباحثين والعلماء وشيوخ زوايا، كما انتظم معرض للزاوية التيجانية في تماسين في بهو الجامعة، حيث قدم القائمون عليها هدية مؤلفة من أكثر من خمسين كتابا لمكتبة الجامعة، فيما عرّف الباحث علي بن محمد غريسي، الذي حقق مجموعة كبيرة من مخطوطات الزاوية ووضع العديد من المؤلفات، الحضور بمجموعة المخطوطات والوثائق القديمة والكتب المعروضة، لاسيما ذاكرة قسنطينة من المخطوطات المحفوظة على مستوى الزاوية ومراسلات مع الشيخ عبد الحميد بن باديس وغيرها من الوثائق ذات القيمة التاريخية والفكرية.

سامي .ح